النشر والتنمية المستدامة

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

يقصد بالتنمية المستدامة تطوير حياة الفرد والمجتمع ودفعها قدماً إلى الأمام في كل الاتجاهات بصفة مستمرة وبقوة دفع تواكب التقدم الانساني العام الذي يجتاح العالم ولا يعطي الفرصة للارتداد أو التخلف عن الركب. وفي الوقت الحاضر غدت هناك جوانب مختلفة للتنمية المستدامة: التنمية الثقافية والفكرية، التنمية الاجتماعية، التنمية الاقتصادية، التنمية الصحية، التنمية النفسية...وهي جميعاً تصب في اتجاه التنمية الشاملة..

وإذا كان النشر هو بث وتقديم المعلومات ومصادر المعلومات إلى الناس والمجتمع من خلال حلقاته الثلاث: التأليف والتصنيع والتسويق حيث يقوم المؤلف بتأليف المادة العلمية ويقوم الصانع أو الطابع بصنع وتحميل المادة العلمية على الوسائط الفيزيقية المادية المختلفة وتمديد النسخ، وحيث يقوم البائع أو الموزع بتاوصيل النسيج إلى القراء والمستفيدين، إذا كان ذلك كذلك فإن النشر يكون هو عماد التنمية المستدامة عندما يراعي النشر أخلاقيات النشر والمستوياته العليا.

يحكم النشر نظريتا الامداد والتوجيه ويقصد بنظرية الامداد أن يقوم الناشر بنشر ما يريده الجمهور القراء أي أن الناشر هنا يدرس احتياجات السوق وينشر ما يلبي تلك الاحتياجات حتي وإن كانت ذات مستوى فكري متواضع فقد يحتاج السوق إلى كتب الطهي والألعاب الرياضية والروايات والناشر هنا يريد أن يأمن شر الكساد وبوار البضاعة وجّل الناشرين في العالم العربي من هذه الفئة ومن ثَم لا يرجى من ورائهم أن يسهموا في التنمية المستدامة، وعلى الجانب الآخر يقصد بنظرية التوجيه أن يقوم الناشر بنشر الأعمال التي ترتفع بأذواق القراء وترقى بمستواهم وترشدهم على ترقية جوانب حياتهم المختلفة: الثقافية وافكرية والاجتماعية والاقتاصادية والصحية والنفسية والوطنية. هذه الفئة من الناشرين بهذا التجاه النشري تسهم اسهاماً لا حدود له في التنمية المستدامة لأن التنمية تبدأ في عقول الأفراد والنشر يعسي حثيثاً إلى زرع التنمية في عقول الأفراد والمجتمع.

إن الناظر إلى النشر الدولي و النشر العربي سوف يجد مفارقة غريبة فالناشر الغربي يوازن بين نظريتي الامداد والتوجيه في النشر بل وقد يغلب نظرية التوجيه على نظرية الامداد؛ بينما الناشر العربي قد لا يعطي نظرية التوجيه إلا اهتماماً عابراً بل قد لا تكون هذه النظرية في اعتباره اساساً.

إن المتأمل في الانتاج الفكري الصادر عن الناشر العربي يجد ندرة في كتب الثقافة العامة (اي غير الوظيفية)، وكثرة بالغة في الكتب الوظيفية: جامعية، مدرسية مساعدة، مطبوعات حكومية. إن دور النشر الحكومية مطالبة وبشدة أن تسد فجوات نشر التنمية المستدامة تلك التي لا يقبل عليها الناشر التجاري لأنه ببساطة تاجر وكل حياته وأكل عيشه قائم على الربح فإن خسر في كتب التنمية المستدامة فإن حتماً يغلق أبوابه ويخرج من السوق.

لقد تفرع النشر الحديث تفرعاً شكلياً وتفرعاً موضوعياً، ومن أهم فروع النشر الشكلي نصادف:

- نشر كتب الأطفال
- نشر كتب المراجع
- نشر المطبوعات الحكومية
- النشر الأكاديمي
- النشر الدولي
- نشر "التنمية المستدامة"

ومن هذا المنطلق فإن نشر التنمية المستدامة غدا واحداً من أهم فروع النشر الشكلي ولنا عودة إليه. ومن جهة ثانية فقد تفرع النشر الحديث تفرعاً موضوعياً فثمّة نشر كتب العلوم الاجتماعية والإنسانيات، نشر العلوم البحتة والتكنولوجيا...وغدا هناك نشراً أكثر تخصصاً مثل النشر الروايات، نشر كتب القانون، نشر علم المكتبات والمعلومات.

نشر كتب ودوريات التنمية المستدامة

منذ أن اندلعت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وخروج الاتحاد السوفيتي من رحمها رفعت تلك الثورة شعار العدو رقم واحد ألا وهو " الأمية والجهل" وبالتالي نهض نشر التنمية المستدامة ليقدم الأدوات الأساسية لمحو الأمية والتعليم المستمر وفي خلال ثلاثين عاماً تم القضاء على الأمية تماماً وحتى لا يرتد المارقون من الأمية إلى أميتهم واصل النشر إمدادهم بأدوات التعليم المستمر وتعليم الكبار؛ وحيث اعتبر محو الأمية والجهل وهو منطلق أية تنمية.

التنمية النفسية المستدامة

يقصد بالتنمية النفسية دعم نفسية الفرد لتحقيق السلام الداخلي والطمأنينة والرضا عن الذات، أي ما يطلق عليه علماء النفس الصحة النفسية وإقامة العلاقات المتوازنة وتخطي الأزمات والقدرة على تجاوز المشاكل والوقوف على أن المشكلة الكبيرة المستعصية على الحل إنما هي تنطوي على مجموعة من المشاكل الصغيرة كل منها في حد ذاته قابل للحل. إن جانباً كبيراً من التنيمة النفسية المستدامة إنما يكمن فيما يعرف بالثبات الانفعالي أي عدم التقلب والتخبط في اتخاذ القرارات، واتخاذ المواقف إزاء الآخرين.

ومن نوافل القول أن نشر التنمية المستدامة ينشر عدداً كبيراً من كتب التنمية النفسية بدرجات متفاوتة من العمق والمعالجة تروق لكل مستويات القراء. وحيث يعتبر البعض وأنا منهم أن التنمية النفسية المستدامة هي المدخل الطبيعي المنطقي لسائر أنواع التنمية المستدامة.

التنمية الثقافية والفكرية

الثقافة بصرف النظر عن المعنى اللغوي هي المعلومات العامة التي يحصل المرء لتجعله واعياً لما يدور حوله محيطاً بمجريات الأمور وطنياً وإقليمياً وعالمياً وحيث لامرء غدا مواطناً عالمياً يؤثر فيه أي حدث في أي مكان هي الدنيا وفي أي مجال من المجالات. والنشر للتنمية المستدامة ينشر وبكفاءة شديدة الكتب والدوريات التي تقدم للانسان الثقافة والفكر وبأدوات أفضل كثيراً من تلك التي تقدمها وسائل الاعلام الحديثة حيث المطلوب "الثقافة المستدامة".

التنمية السياسية المستدامة

يعتبر إشراك المواطن في الشئون الداخلية والشئون الخارجية لبلده هو الطريق إلى مجتمع الديموقراطية والشورى وهو الطريق المباشر إلى الوطنية الخقة وتحقيق السلم والسلام الوطني. كذلك مكاشفة المواطن بحقائق الأمور المتعلقة بالوطن داخلياً وخارجياً هو الشفافية بعينها. كذلك فإن الانتخابات النزيهة الهادفة سواء الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية أو البلدية المحلية كلها تصب في اتجاه الديموقراطية الحقة وإذا كان المواطن قد فقد الثقة في الاعلام الموجه في الأعم الأغلب سواء الرسمي الحكومي أو الأهلي فإن الكتاب المطبوع والدراسات العلمية الأصيلة التي تنشرها دور النشر الوطنية تكون هي حصن الأمان في التنمية السياسية المستدامة. لقد أدرك المواطن أن الإعلام الحكومي يصب في اتجاه ما يريده الحاكم من تسطيح الفكر وتغييب العقل والإعلام الأهلي هو إعلام مرتزق، فالإعلاميون يترزقون من وراء أصحاب القنوات؛ وأصحاب القنوات يترزقون من وراء وكالات الإعلان، ووكالات

الإعلان تترقز من وراء شركات الإنتاج، وشركات الإعلان تترزق من وراء المواطن المغيب عقله المسطح فكره. إنهم يحدثونك عن تجديد الخطاب الديني فقل لهم ياسادة بل تجديد الخطاب السياسي.

التنمية الاقتصادية المستدامة

يقصد بالتنمية الاقتصادية هي أن يكون للمواطن عمل (مهنة، حرف..) يترزق منه ويتعيش من ورائه ويحقق له دخلاً يكفل له حياة كريمة. العمل الذي يشغله المواطن يجب أن يتناسب مع مهاراته وإمكانياته يحبه ويرضاه. والتنمية الاقتصادية تعني أيضاً غمكانية المواطن من عمل إلى عمل أفضل بسلاسة دون هزات إقتصادية. ومن جهة أخرى من إن التنمية الاقتصادية تعني ضمان الدولة لدخل للمواطن في حالة البطالة والعوز. وليس أنجح من النشر في تدبير الكتب والدوريات التي ترشد المواطن إلى التنمية الاقتصادية المستدامة بوجوهها المختلفة.

التنمية الاجتماعية المستدامة

يقصد بالتنمية الاجتماعية الحفاظ على السلام الاجتماعي بين طبقات المجتمع المختلفة، وعدم سقوط طبقة إلى الطبقة التي دونها والحفاظ على الحراك الاجتماعي الفاعل. إن التخلخل الاجتماعي يؤدي بالضرورة إلى صراع اجتماعي بين الطبقات قد يؤدي بالضرورة إلى تكدير السلم العام ومن ثم الحرب الأهلية. ومهما خطب الخطباء ومهما دعا الدعاة ومهما قال رجال الدين، فإن ما ينشره الناشرون المخلصون من إنتاج فكري يجذر السلام الاجتماعي في عقول أبناء الطبقات الثلاث كل على قدره هو الضمان الوحيد لوقف الصراع بين الطبقات.

التنمية الصحية المستدامة

خلق الظروف المواتية للحفاظ على صحة الفرد ووقايتها من الاعتلال والمرض هو الهدف المطلق من التنمية الصحية ونحن في غنى عن القول بأن الانسان السليم لاصحيح هو الانسان الذي يستمتع بالحياة ويقبل عليها والانسان السليم هو الانسان المنتج الفاعل، والانسان السليم هو صاحب العقل السليم والفكر القويم و السلوك المستقيم والعلاقات السوية.

ونشر التنمية المستدامة يقدم للمواطن – ومن ثَم المجتمع- أدوات الحفاظ على الصحة الشخصية ولاصحة العامة سواء كان ذلك عن طريق النشر التقليدي أو النشر الالكتروني.

التنمية الدينية المستدامة

الدين هو مجموعة القواعد الشرعية التي تحكم العلاقة بين الرب والعبد (العبادات) وبين العبد والعبد (المعاملات). وفئتا القواعد هما قواعد يومية. والنشر الديني العظيم يجذر في المواطن الدين العظيم؛ يحقق العلاقة البسيطة السمحة بين الرب والعبد، والعلاقة السلسة بين العبد والعبد منذ يستيقظ من فراشه حتى يعود إليه. النشر الديني القويم يحبب الناس في الدينودين الأقرع وعذاب القبر والنار يخيف الناس من الدين؛ ودين الرحمة والمغفرة هو دين التنمية المستدامة.

****

إن الناشر الذي يعشق نظرية التوجيه هو الناشر الذي يحقق التنمية المستدامة وعلى الدولة و المجتمع أن يشجعا ناشر التنمية المستدامة.